دراسة

أدب اللغة العربية بمصر

في النصف الأول من القرن العشرين

(١٣٢٠ - ١٣٧٠ هـ)

الطبعة الثانية
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



الكويـت – مدينة سـعد العبدالله – الدائري السـادس – ق3 – م28
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع
(الكويت)
darandalusia@hotmail.com
(+965) 94747176

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

دِراسَة

أدب اللغة العربية بمصر

في النصف الأول من القرن العشرين

(١٣٢٠ - ١٣٧٠ هـ)

مواد - مناهج - آثار

تأليف

د. أحمد الشايب بك

أستاذ كرسي الأدب العربي بجامعة فؤاد الأول

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

تقديم

أما بعد، فلستُ أرمي من وراء هذه السطور إلى تأريخ الأدب المعاصر في مصر، ولا دراسته دراسة موضوعية أو نقدية .. كلا، لست أقصد إلى شيء من ذلك.

وكل ما أردت هو أن أشير إلى أهم المعالم المنهجية والمادية التي تصور سير الدراسة الأدبية بمصر في هذه الفترة التي نعيش فيها، وما كان لها من آثار، وما دارت فيه من ميادين.

وهي إشارات ينبغي أن توضع تحت أعين الباحثين والناشئين من طبقات الجيل الجديد، فإن أسعفني الجهد والوقت فصّلتُ القول في ذلك نقدًا وتأريخا، وإلا فقد أشرت ونبهت.

وكانت إشارتي هذه تحية لجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) في عيدها الفضي الميمون.

أحمد الشايب

١٩٥٠

دراسة أدب اللغة العربية بمصر
في النصف الأول من القرن العشرين

- ١ -

بدأت العناية الرسمية بدراسة أدب اللغة العربية دراسة أصيلة في مصر الحديثة بمدرسة دار العلوم التي أنشأها المرحوم علي مبارك باشا في شهر ربيع الثاني سنة (١٢٨٨هـ)، يوليو سنة (١٨٧١م)[١].

وقد بدأ هذه الدراسة المرحوم الشيخ حسين المرصفي تحت عنوان «علوم الأدب»، وألف لهذا الدرس كتابيه: «الوسيلة الأدبية» و«سلم المسترشد»، ثم خلفه في هذا الدرس المرحوم الشيخ حمزة فتح الله، وألف له كتابه «المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية»، وكانت هذه الدراسة في جملتها جارية على الأساليب القديمة، كما هي في «الكامل» للمبرد و«أمالي» القالي و«البيان والتبيين» للجاحظ، وغيرها من كتب الأدب الجامعة لكل شيء من شعر ونثر وخبر وفكاهات وملح وأمثال[٢]، ونحوها من كل ما يتصل بشرح النصوص وفهمها.

على أن هذه الخطوة الأولى في مصر الحديثة لم تكن من طراز واحد، فقد امتازت عند الشيخ المرصفي بعنايته الواضحة بعلوم اللغة من نحو وصرف وعروض وبلاغة، حتى بدت متحيزة مستقلة في كتابه «الوسيلة الأدبية» بجانب ما أورد من نصوص ومختارات، في حين أن هذه العلوم وردت متناثرة مفرقة مسائلها في كتاب

(١) تقويم كلية دار العلوم لعام ١٩٤٩ (ص١)، وراجع التقويم الكبير للأستاذ محمد عبد الجواد.
(٢) أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب (ص٢١ هامش).

«المواهب الفتحية» الذي كان أقرب إلى طريقة كامل المبرد وأمالي القالي.

وقد نوه الشيخ حمزة في مطلع كتابه بأن هذا الدرس كان بتوجيه علي مبارك، وأنه بدأه يوم ١٨ من نوفمبر سنة (١٨٨٨)، ثم وصفه فقال: «وعمدت في علوم هذه اللغة إلى تنسيق قلائد ونظم فرائد، وضم شتيت وجمع مفترق وتقييد مطلق، وإصلاح خطأ وتكميل نقص، غير مقيد بفن أو علم من الفنون الأدبية والعلوم العربية دون آخر، بل إنني أستطرد الكلام في جميعها استطرادا، وأطلق من بنان البيان في ميادينه جوادا، مع التحري وجودة الانتقاء في اختيار ما أنقله من كتب أو خطب أو منظوم أو منثور في ضروب شتى وأنواع مختلفة من العلوم العربية»[١].

وهكذا سار في الدرس والتأليف، يختار النص، ويأخذ في شرحه، فيعرض له شاهد نحوي أو بلاغي فيقف عنده، وقد يورد سيرة صاحبه، ويذكر بعض الرسوم القديمة والأمثال السائرة والأخبار اللازمة، وإن ضعف الجانب الفني في هذا الدرس إذا قيس بالجانب اللغوي بحيث لم يكن للنقد الأدبي حظ مذكور في كتاب الشيخ حمزة بوجه خاص.

ولعل المرحوم علي مبارك باشا كان يرمي إلى هدف آخر مخالف لهذه الطريقة التي سار عليها الشيخان في كتبهما ودروسهما، لعله كان يرمي إلى تاريخ أدب اللغة العربية بوصفه في عصوره الأدبية وبيئاته المختلفة، وصفا قائما على تبيين الخصائص الفنية وإيضاحها وتفسيرها بمقوماتها الطبيعية والاجتماعية والجنسية والشخصية كما يفعل الأوربيون بآدابهم اللغوية، أقول: لعله أراد ذلك، ولكنهما لم يدركا مرامه فقصدا إلى ذلك الدرس العام التقليدي لعلوم اللغة العربية[٢].

(١) المواهب الفتحية (جـ ١، ص٤، ٧).

(٢) مقدمة لدراسة بلاغة العرب (ص٢٢ هامش).

- ٢ -

وإلى هنا لم تكن مصر قد عرفت هذه المناهج الحديثة في نقد الأدب وتاريخه ودرسه، وإنما كانت تسير في هذا الدرس على ذلك السنن القديم كما وصفنا.

ولكن المرحوم حسن توفيق العدل عاد من ألمانيا بعدما أتقن لغتها واطلع على مناهج البحث الأدبي هناك، وعلى مجهود مستشرقي الألمان في تاريخ الأدب العربي نفسه، فأشار على صديق له هو المرحوم محمد بك دياب أن يضع باللغة العربية كتابا في تاريخ أدبها على نحو ما فعل هؤلاء المستشرقون، ورسم له الطريقة بشكل ما، فألف سنة (١٨٩٧م) كتابا سماه «تاريخ آداب اللغة العربية».

ولعله أول من وضع هذه التسمية في اللغة العربية، وربما كان ذلك بوحي الأستاذ حسن توفيق العدل[١]، ولكن الأستاذ جورجي زيدان يقول إنه هو أول من سمى هذا العلم بهذا الاسم «تاريخ آداب اللغة العربية»، إذ نشر منه فصولا أولها سنة (١٨٩٤م) في الهلال التاسع من السنة الثانية[٢]، وآخرها في أواخر السنة الثالثة، وربما كان كل منهما ناقلا له عن الألمان.

ولعل نهج محمد بك دياب في مؤلفه كان أقرب إلى نهج «الفهرست» لابن النديم مع التوسع، فقد قال في مقدمته: «وقد شرحت فيه نشأة العلوم الأدبية وسيرها في مختلف العصور، والكتب التي ألفت فيها وأزمانها وحياة مؤلفيها، وذكرت فصولا من كل فن اقتضاها سير التأليف وغير ذلك».

(١) مصطفى عناني: مذكرات مطبوعة طبعة مدرسية (ص١٧).
(٢) راجع كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» (جـ ١، ص٤).

ولكن ذلك أقرب إلى تاريخ علوم اللغة، دون أن يكون تاريخ الأدب بذلك المعنى الفني الواسع الذي نعرفه الآن، فكان كتابه محاولة على غير هدي شامل وقفت عند أول الطريق.

وفي سنة (١٨٩٨م) عهدت دراسة هذا الفن بدار العلوم إلى المرحوم حسن توفيق العدل نفسه، ولعل ذلك كان أمرا طبيعيا ليحقق تلك الصورة التي تصورها لتاريخ أدب اللغة العربية، والتي عرفها عند مستشرقي الألمان -وأخصهم فيما يظهر بروكلمان- فوضع كتابا حسن الترتيب، منوع البحوث، أدخل في باب التاريخ الأدبي، انتهى فيه إلى آخر العصر الأموي، وقد طبع هذا الكتاب الموجز عدة مرات بمطبعة الصنائع، وتاريخ الطبعة الأخيرة سنة (١٩٠٦م).

كان كتاب حسن توفيق العدل الأساس الأول للصورة التي يدرس بها تاريخ أدب اللغة العربية بدار العلوم والمدارس الثانوية بمصر إلى عهد قريب، فقد أخذ مدرسو دار العلوم من ذلك الحين يتأثرون منهجه، ويؤلفون على مثاله بشيء من التفصيل أو التعديل، ولكن المنهج العام لم يتغير، فهو تعريف باللغة وبتاريخ الأدب وعصوره الأدبية، والقول في العصر الجاهلي وحياة العرب العقلية، وتقسيم الأدب إلى شعر ونثر، وبيان فنون كل منهما، ودراسة بعض رجال كل طبقة من الشعراء، وهكذا الشأن بعصر صدر الإسلام، والعصر العباسي، إلى العصر الحديث.

وقد بلغت هذه الصورة ذروتها في كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي» للشيخ أحمد الإسكندري، وهو مذكرات لطلاب دار العلوم، وفي كتاب «الوسيط للمدارس الثانوية»، وفي تلك المذكرات التي كانت تطبع طبعات خاصة لطلاب دار العلوم، وأحيانا طبعات عامة للشيخ الإسكندري، والشيخ علام سلامة، والشيخ مصطفى عناني، والشيخ أحمد نجاتي، والشيخ محمود مصطفى، وغيرهم، وهي صور قائمة على التركيب لا التحليل، وعلى الإيجاز لا التفصيل.

- ٣ -

وفي سنة (١٩٠٨م) تم إنشاء الجامعة المصرية الأهلية[١]، وبدأ قسم الآداب فيها يعنى بدراسة أدب اللغة العربية دراسة حرة غير مقيدة بمناهج وزارة المعارف ورسومها، وإنما هي دراسة تخضع لمناهج البحث المستحدثة في الجامعات والمعاهد الأوروبية، فارقة بين درس الأدب ودرس تاريخ الأدب.

واستقدمت الجامعة الأهلية بعض أعلام المستشرقين للنهوض بهذا العبء، فعهدت إلى المرحوم حفني ناصف ثم إلى المرحوم الشيخ مهدي بدرس الأدب: شرحه ونقده، كما عهدت إلى الأستاذ جويدي ثم الأستاذ نللينو ثم الأستاذ فييت بدرس تاريخ الأدب.

فبينما كان الأولان يدرسان الأدب ونصوصه المختلفة درس نقد وتحليل فيه حظ عظيم من العناية بالنحو والصرف واللغة والبيان، فيبثان في نفوس الطلاب حب الأدب العربي القديم والميل إلى قراءته واستظهار الجيد من نصوصه المختلفة، وينشئان فيهم الذوق وملكة الإنشاء، كان الآخرون يدرسون التاريخ الأدبي بمناهجهم الغربية الحديثة، فيعلمون الطلاب كيف يبحثون ويقارنون ويستنبطون.

وكان كلا الأسلوبين في الدرس يتمم صاحبه، ويقوي أثره، ويكون للطالب مزاجا أدبيا علميا مستقيما خليقا أن يغير حياة الأدب العربي في شكلها وموضوعها كما يقول أصحاب القانون[٢].

(١) عن الجامعة المصرية الأهلية اقرأ كتاب «الأمير أحمد فؤاد ونشأة الجامعة المصرية»، بقلم أحمد عبد الفتاح بدير، مطبعة جامعة فؤاد الأول (١٩٥٠).

(٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي (ص٣) ط٣.

وهذا الاتجاه الحديث في درس الأدب العربي كان انقلابا وتحديا لذلك المنهج القديم الذي كان لا يزال رابضا في الأزهر الشريف يمثله الشيخ سيد المرصفي، ويتأثر فيه طريقة المبرد والقالي، وقد فزع لهذا النهج الوسيط الذي تمثله دار العلوم أخيرا، وذلك النهج الحديث الذي تمثله الجامعة المصرية، وحاول أن يدرس لطلاب الأزهر على هذا النمط الرسمي المدرسي، فكان هذا منه مجافاة لطبعه وما ألف(١).

وبقي الأزهر إلى الآن ينحو منحى دار العلوم في الدراسة الأدبية، وبخاصة لما أنشأ كلية اللغة العربية تقليدا لدار العلوم ومشاركة لها في مهمتها التعليمية.

وهكذا بقي درس الأدب على النهج القديم في الأزهر يدرسه المرصفي والقاياتي وغيرهما، وبقي درس الأدب على الطريقة الوسيطة بدار العلوم والمدارس الثانوية والعالية كالقضاء الشرعي والمعلمين العليا، وأنشئ درس الأدب على المناهج الحديثة في الجامعة المصرية الأهلية.

بقيت هذه الدروس متعاصرة، ولكنها متفاعلة من غير شك، وبخاصة بين دار العلوم والجامعة، إذ لم يكن الفرق بينهما قائما على التضاد، بل على سعة الأفق، والبسطة في التحليل والنقد، والعناية بمقومات الأدب في الجامعة لحريتها وعدم تقيدها بمناهج دراسية ولا بأوضاع رسمية ولا بمدة زمانية.

---

(١) نفس المرجع (ص٥)، وذكرى أبي العلاء (ص: أ - و).

- ٤ -

وفي إبان ذلك كان هناك رجلان يرصدان درس الأدب في هذه الجامعة الأهلية لعلهما يريان فيه ما لا يعرفان، وهما: جورجي زيدان، ومصطفى صادق الرافعي، فحمل ثانيهما على الجامعة ودراسة الأدب فيها، وإذا بالجامعة تعلن عن مسابقة لتأليف كتاب في «أدبيات اللغة العربية»، ولما حلت سنة (١٩١١م) تقدم جورجي زيدان بالجزء الأول من كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية»، وأصدر الرافعي الجزء الأول من كتابه «تاريخ آداب العرب»[١].

أما كتاب جورجي زيدان فكان دائرة معارف لهذا الدرس، انتفع مؤلفه بما كتب المستشرقون في تاريخ الحضارة الإسلامية وأدب اللغة العربية، أمثال: هيوار ودوزي وسديو وبراون في الأدب الفارسي، ومرجوليوث ونيكولسن وجولدسيهر وبروكلمان وغيرهم ممن عنوا بدرس هذه الآداب الإسلامية.

والكتاب بهذا الوضع محيط يفيد الدارسين، على أنه دليل وإن غلب عليه طابع الجمع والتأليف وفقد مزية النقد والتحقيق في كثير من موضوعاته[٢] وقد أتمه مؤلفه في أربعة أجزاء صدر آخرها سنة (١٩١٤م)، ولا يزال إلى اليوم من مراجع الدارسين مع سائر مؤلفات صاحبه في تاريخ اللغة والحضارة الإسلامية[٣].

أما كتاب الرافعي فقد غلبت عليه الدراسة الجنسية واللغوية والرواية وما إلى

(١) محمد سعيد العريان: حياة الرافعي (ص٥٠-٥٣).
(٢) وراجع للإسكندري وللأب لويس شيخو: «انتقاد تاريخ آداب اللغة العربية»، طبعة المنار بمصر سنة (١٣٣٠هـ).
(٣) ورد ثبت بمؤلفات جورجي زيدان في الجزء الرابع من كتابه هذا (ص٣٢٥-٣٢٦).

ذلك من كل ما يتصل بنقد المتن والسند، دون فراغ لدراسة الشعر والنثر دراسة فنية أو تاريخية، بحيث كان هذا الجزء الأول أشبه بالتمهيد لتاريخ الأدب ونقده، وكان أسلوبه فخما جزلا عاليا، وقد قال هو عنه إنه يحتوي على تاريخ اللغة ورواياتها، وقد بقي من التاريخ عشرة أبواب تقع في أربعة أجزاء أخرى[(١)].

ثم أصدر الرافعي بعد ذلك الجزء الثاني وموضوعه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وبعد وفاته نشر له الأستاذ محمد سعيد العريان الجزء الثالث سنة (١٣٥٩هـ-١٩٤٠م)، وقد اشتمل على الباب الخامس في تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة منه وما يلتحق بذلك، والباب السادس في حقيقة القصائد المعلقات ودرس شعرائها، والباب السابع في أدب الأندلس إلى سقوطها ومصرع العربية فيها، والباب العاشر في التأليف وتاريخه عند العرب ونوادر الكتب العربية، والباب الحادي عشر في الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون في النظم والنثر وتاريخ أنواعها.

وواضح أن هذا الجزء الثالث قد تركه المؤلف -رحمه الله- قبل أن يتم تنسيقه وإكماله، ثم نشره الأستاذ العريان على قدر ما استطاع[(٢)].

وليس من شك أن الرافعي قد راعته بلاغة القرآن الكريم والحديث الشريف، فكتب فيهما بعقيدة راسخة وبرهان ساطع وقلم بليغ، فأحسن التصوير والأداء، فلما وصل إلى الجزء الثالث كان عمله فيه أدخل في باب التاريخ الأدبي، ولولا أنه لم يصقله لكان خيرا منه الآن.

---

(١) راجع الجزء الأول (ص١ -٢٠).
(٢) راجع هذا الجزء ومقدمة مخرجه (ص: أ-ل).

- ٥ -

ولا أظن أن الجامعة المصرية كانت تنتوي تقرير أحد الكتابين على طلابها مهما تكن قيمته العلمية، فليس ذلك من شأن الجامعات، ولعل الأمر كان حفزًا إلى التأليف في هذا الباب تأليفا حرًّا مبسوطا يجمع بين مناهج الغربيين ومادة الدارسين من المصريين الذين يفقهون نصوص الأدب العربي وعلومه، وحينئذ تكون قد فتحت باب التأليف الطليق من الرسميات.

كما أن الجامعة نفسها كانت كذلك بعيدة عن الرسميات الحكومية، والأساتذة والطلاب بعد ذلك أحرار فيما يقرأون ويبحثون ويكتبون كما تدل على ذلك بحوثهم ومقالاتهم في صحيفة هذه الجامعة المنشورة، فذلك هو الأسلوب الجامعي السليم.

وسارت الجامعة في سبيلها تعجب الدارسين، وتستعد لمنح الدرجات الجامعية في أدب اللغة العربية، وكان طه حسين أول طالب يتقدم إليها سنة (١٩١٤م) ببحث للحصول على الدكتوراه عنوانه «ذكرى أبي العلاء»، وقد نوقش في بحثه مناقشة علنية في ٥ مايو من هذه السنة، ونال به شهادة العالمية ولقب دكتور في الآداب.

وقيمة هذا البحث من الناحية التاريخية خطيرة فيما نحن بسبيله الآن، فإنه يؤرخ حياة الدرس الأدبي في مصر أوائل القرن العشرين، وقد وضح المؤلف ذلك كله في مقدمة بحثه أحسن توضيح، إذ شرح منهج الأزهر يمثله الشيخ سيد المرصفي، ومنهج الجامعة يمثله بحثه وما إليه، والمذهب الوسط ممثلا في دار العلوم والمعاهد والمدارس الرسمية.

يقول في مقدمة بحثه: «أنشئ قسم الآداب في الجامعة[١]، ودعي إليها جلة الأساتذة من المستشرقين في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وانتسبت لهذا القسم، وأخذت أسمع الدروس فيه، فإذا ألوان من الدروس لم أعرفها من قبل، وإذا فنون من النقد لم يكن لي بها عهد، وإذا دارس الأدب لنفسه ينبغي أن يدرس جيده ورديئه، وأن يتقن غثه وسمينه على السواء من غير تفاوت ولا تفريق، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب ليس عليه أن يتقن علوم اللغة وآدابها فحسب، بل لابد له أن يلم إلماما بعلوم الفلسفة والدين، ولابد له أن يدرس التاريخ وتقويم البلدان درسا مفصلا، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب لا يكفيه من درس اللغة حسن البحث عما في القاموس واللسان وما في المخصص والمحكم وما في التكملة والعباب، بل لابد له مع ذلك من أن يدرس أصول اللغة القديمة ومصادرها الأولى، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب لابد له من أن يدرس علم النفس للأفراد والجماعات إذا أراد أن يتقن الفهم لما ترك الكاتب أو الشاعر من الآثار، وإذا اللغة العربية وحدها لا تكفي لمن أراد أن يكون أديبا أو مؤرخا للآداب حقًّا، إذ لابد له من درس الآداب الحديثة في أوربا، ودرس مناهج البحث عن الفرنج، بله ما كتب الأساتذة الأوربيون في لغاتهم المختلفة عما للعرب من أدب وفلسفة ومن حضارة ودين»[٢].

أما البحث نفسه من حيث موضوعه ومنهجه فقد كان طريفا حقا، وقف نفسه على درس أديب واحد، لا هو درس فن أدبي، ولا هو درس عصر أدبي، ولا هو درس إقليم أدبي في عصر معين، فهذا هو الموضوع، وأما المنهج فقد تصور آثار أبي العلاء على أنها ثمرة لتفاعله مع عصره أو بيئته العامة، وإذن لابد أن يدرس عصره ثم حياته ثم آثاره، وهذا هو المنهج العام الذي سلكه في ذكرى أبي العلاء فوفق فيه.

---

(١) بدير: الأمير أحمد فؤاد ونشأة الجامعة المصرية (ص١٢٦ و١٣٥).
(٢) ذكرى أبي العلاء، المقدمة (أ- هـ).

وكانت رسالته شيئا طريفا مثَّل مذهب الجامعة أو أحد مذاهبها في درس أدب اللغة العربية وتاريخه، وبذلك وضع الأساس العملي لمنهج الجامعة في مصر إبان القرن العشرين.

وهنا نترك الجامعة تعنى ببعوثها إلى أوربا، فترسل بطه حسين وأحمد ضيف وغيرهما إلى فرنسا لدراسة الآداب[١]، ونقف بداخلها برهة قصيرة لنشير إلى جهود أساتذتها في خدمة هذه الدراسات الأدبية ومقوماتها، فهذا حفني ناصف يصدر «تاريخ الأدب» أو «حياة اللغة العربية» في أربعة أجزاء صغيرة مهد فيها لدرسه، وذكر حقيقة اللغة العربية وخصائصها وتاريخ الخط العربي وقواعد الشكل، وأشكال الكتابة القديمة، وأصناف الأقلام في صدر الإسلام، وتاريخ تجويد هذا الخط، وصحائف العرب واختزال الكتابة[٢].

وهذا الشيخ المهدي يكتب محاضراته للطلاب فيتداولونها ويحتفظون ببعضها إلى الآن، وهذا طنطاوي جوهري يلقي محاضرات ثلاثًا في الموسيقى العربية، وهذا سلطان محمد يطبع محاضراته في الفلسفة الإسلامية ثم يتبعه الكونت جلارزا، وهذان محمد الخضري وعبد الوهاب النجار ينشران محاضراتهما في التاريخ الإسلامي، وهذا نللينو ينشر كتابه في تاريخ علم الفلك عند العرب.

وهكذا أخذ هؤلاء يعملون في حدود طاقتهم انتظارا لبعوث الجامعة حتى تعود من الخارج ليحمل أفرادها عنهم أو معهم مسؤولية هذه الدراسة الأدبية الجديدة، ذلك كله غير آثار الأساتذة بالإنجليزية والفرنسية وغير صحيفة الجامعة التي نشرت أبحاثا للأساتذة والطلاب[٣].

---

(١) راجع (ص١٨٦) عن البعوث من كتاب «الأمير أحمد فؤاد ونشأة الجامعة المصرية».
(٢) طبع القسم الأول بمطبعة الإصلاح والثاني بمطبعة الجريدة من غير تاريخ.
(٣) راجع المطبوعات وصحيفة الجامعة القديمة (صحيفة الجامعة المصرية).

وقد قامت الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٤م) فصدمت الجامعة في مواردها الاقتصادية حتى عجزت عن استقدام المستشرقين، واضطرت أن تجمع بين درس الأدب وتاريخه في يد أستاذ واحد، فعادت إلى هذا المذهب الوسيط في دراسة الأدب[١].

فعلت ذلك تعلة وإبقاء على حياتها حتى تسترد نشاطها بعد انتهاء الحرب، ولكنها استمرت تمنح درجاتها العلمية الدكتوراه والليسانس في الآداب والليسانس في الحقوق، وقد نال الدكتوراه في الآداب: طه حسين، أحمد البيلي، حسن إبراهيم، توفيق حسان المرعشلي، إسرائيل ولفنسون، فريد رفاعي، زكي مبارك.

---

(١) ذكرى أبي العلاء (ص: ح).

- ٦ -

وعادت البعوث من أوربا، وأخذ الدكتور طه حسين (١٩١٩-١٩٢٠م) يدرس التاريخ القديم، ونشر لذلك كتاب «صحف من الشعر التمثيلي عند اليونان».

وأخذ الدكتور أحمد ضيف (١٩١٨-١٩١٩) يدرس الأدب العربي محل الشيخ مصطفى القاياتي، وألف لذلك أول ما ألف كتابه «مقدمة لدراسة بلاغة العرب» واضعًا لفظ «بلاغة» موضع لفظ «أدب»، وهو وضع غير لازم على كل حال[(١)].

كان ذلك يوم ٩ من نوفمبر سنة (١٩١٨م) حين بدأ محاضراته بتمهيد بين فيه طبيعة الأدب العربي وحاجته إلى نشاط جديد ومناهج جديدة في الدراسة تقوم على النقد السليم والنظرة الشاملة والحرية الصحيحة[(٢)]، ثم عرض لأقسام الشعر والشعر الجاهلي والأقوال فيه، والنزعات المختلفة في فهم البلاغة (الأدب)، ثم عرض لمذاهب النقد في فرنسا كمذهب تين وبرونتيير وجول لمتر وإلى غير ذلك، وكان تبشيره بهذه المذاهب -دعوة ودراسة- أول ما عرف الدارسون هنا بطريقة نظامية تقريرية باللغة العربية، غير أنها كانت دعوة تعوزها البراعة، والقوة والإلحاح في النشر وسعة التطبيق، وذلك هو ما توافر لطه حسين فيما بعد.

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب سنة (١٩٢١م)، فكانت أول جديد في هذا البحث لأستاذ جامعي بمصر.

---

(١) (ص١٢ وص٢١) من الكتاب المذكور.
(٢) (ص٣-١١) من المقدمة.

وفي سنة (١٩٢٤م) أصدر الدكتور أحمد ضيف كتابه الثاني «بلاغة العرب في الأندلس»، يعني أدب العرب في الأندلس، وفيه مهد لدرسه بفتوح الأندلس وحياتها العقلية والفنية والاجتماعية، ثم درس النثر والشعر وترجم لبعض رجالهما، ثم ألم بفن الموشحات[١].

ولا شك أن جهد الدكتور أحمد ضيف كان جديدا في مناهجه ونقده ودعوته، ولكنه بقي بين جدران الجامعة غالبا، لم يجد من قوة الإذاعة والإعلان ما يجعله ذا أثر قوي بحيث يهز القراء خارج الجامعة، أو يحمل الدولة على النظر في مناهجها الدراسية في المدارس والمعاهد، فوقف أثره عند طلاب الجامعة، وهو أثر محمود على كل حال لا نزال نرى آثاره اليوم عند تلاميذ الدكتور ضيف.

وقبل أن نترك الجامعة الأهلية نذكر لها بالفخر أنها البداية الكريمة للحياة الجامعية في مصر، وأن الدراسة فيها كانت أدبية وقانونية، وأنها استطاعت في الجانب الأدبي أن توسع أفقه، وتعنى بمقوماته التاريخية والفلسفية واللغوية والجغرافية، وأن تضع أدب اللغة في الدراسة كوضعه في الحياة عنصرا من عناصر الحضارة يتفاعل معها مؤثرا ومتأثرا، ويقوم بنصيبه في تهذيب الحياة وتقويمها، ويحتل في منازلها أكرم منزل وأرفعه.

فعلت ذلك ووضعت لدراسته أحدث المناهج وأقومها، فكانت بذلك تحولا خطيرا في تاريخ الدراسة الأدبية، وكانت لذلك مفخرة هذا الشعب المصري الكريم الذي شعر بحاجته إلى التعليم العالي الحر المثمر، فأقام جامعته الأهلية لتسد حاجته، ولتحمل الدولة على أن تلتفت إلى الواجب عليها، وأن تقيم الجامعة الحكومية.

---

(١) الطبعة الأولى بمطبعة مصر سنة (١٣٤٢هـ) - سنة (١٩٢٤م).

- ٧ -

وقد كان، ففي عام (١٩٢٣م) تألفت لجنة من رجال الجامعة الأهلية ورجال وزارة المعارف للنظر في تحويل هذه المؤسسة القومية إلى جامعة حكومية، واتفق في ديسمبر سنة (١٩٢٣م) على أن تشرف وزارة المعارف على الشؤون المالية للجامعة الجديدة، وفيما عدا ذلك فالجامعة تحتفظ باستقلالها وإدارتها الخاصة وشخصيتها المعنوية، وتكون الجامعة القديمة نواة لكلية الآداب على أن تضم للجامعة مدرستا الطب والحقوق بوصفهما كليتين، وتنشأ فيها كلية العلوم حسبما هو متبع في الجامعات الأوروبية.

وفي ١١ من مارس سنة (١٩٢٥م) صدر المرسوم الملكي بإنشاء الجامعة الجديدة باسم «الجامعة المصرية»، وهو نفس الاسم القديم مكونة من أربع كليات: الآداب، والعلوم، والطب، والحقوق، ويجوز إنشاء كليات أخرى بمرسوم، وقد كان، فتعددت الكليات، ثم سميت الجامعة بعد ذلك «جامعة فؤاد الأول» وتبعتها سائر الجامعات المصرية، وكانت كلية الآداب دائما في مقدمة الكليات الجامعة[١].

وقد بدأت الدراسة بكلية الآداب سنة (١٩٢٦) بقصر الزعفران بالعباسية، ثم نقلت في أكتوبر سنة (١٩٢٩م) إلى المبنى المخصص لها من مباني الجامعة التي شيدت في حديقة الأورمان، وقامت الدراسة فيها على أساس الأقسام، وكان في مقدمتها قسم اللغة العربية واللغات السامية، وهو أيضا أهم قسم يعنينا في هذا الموضوع.

---

(١) راجع الكتاب الفضي لكلية الآداب (١٩٢٥-١٩٥٠) مطبعة جامعة فؤاد الأول، وعن الجامعة المصرية تقويم جامعة فؤاد الأول (١٩٥٠م).

وكانت دار العلوم لا تزال جادة في سبيلها التي رسمت لها، فهي خير معهد يدرس علوم اللغة دراسة نظرية تطبيقية في حدود ما انتهى إليه اجتهاد السابقين، وهي خير معهد لإعداد مدرس اللغة وآدابها في المعاهد والمدارس الرسمية، وهي المعهد الذي يجمع بين الثقافة الأزهرية والثقافة المدنية، وهي المعهد الذي حمل أبناؤه عبء النهضة التعليمية في مصر وغيرها، وكان منهم من درس في الجامعة الأهلية ومدرسة القضاء الشرعي، ومدارس اللغات الشرقية بأوربا.

وبجانب دار العلوم كان الأزهر يتجدد ويترك الدراسة العامة ليأخذ بنظام الأقسام -الأولي، والثانوي- والكليات، ثم التخصص في المادة والمهنة، ويمتاز بالدراسة النظرية الجدلية العميقة، ويستحيل من معهد ديني خالص إلى معهد ديني ينشئ كلية اللغة العربية على مثال دار العلوم (فيما بعد)، وإن بقي محتفظًا بكيانه في كليتي الشريعة وأصول الدين، مع تنظيم وعناية بالمواد اللازمة لتقويم دراسته، كالتاريخ الإسلامي والفلسفة والفرق الإسلامية واللغات الأوربية والشرقية، وهكذا يسير إلى الآن.

وكانت مدرسة القضاء الشرعي لا تزال قائمة في صدر هذا القرن تدرس العلوم الشرعية والتوثيقات القضائية، والأدب العربي وعلومه، والفلسفة، وكانت دراسة الأدب وعلومه على نحو ما في دار العلوم كيفًا لا كمًّا، وإن تعمقت في درس الشريعة وما يلابسها.

وكانت بلاد الشرق العربي لا تزال تنتظر جهود مصر في كل هذه الدروس، عدا نشاطا ملحوظا نهض به اليسوعيون في لبنان خاصة، ولكنه نشاط جزئي في حدود الواقع، وفي سبيل التيسير والتعليم.

– ٨ –

في هذه الآونة أنشئ قسم اللغة العربية واللغات السامية بكلية الآداب، ونقل إليه الدكتور طه حسين من الجامعة القديمة ليكون أستاذ الأدب العربي في كلية الآداب بالجامعة الحكومية، ولعله وهو في الجامعة القديمة كان يضيق بدراسة الأدب العربي ويرى أنها في حاجة إلى دفع قوي وإذاعة عريضة ونظام مستقر، فاعتزم أن ينهض بذلك كله في هذا القسم الجديد، وقد كان بعد ما تنحى الدكتور ضيف عن الجامعة الجديدة.

ومنذ إنشاء هذا القسم تطلعت إليه مصر وبلاد الشرق العربي لترى ماذا يفعل، ولعلها جميعا كانت تنتظر منه كثيرا بعد ما تهيأت له أسباب النهوض ووسائل البحث الحر العميق، وفتح له باب الاستعانة بكل من يرى فيه نفعا ومعونة ليكون الصورة الجامعية العليا لدراسة الأدب العربي، والمشاركة في درس الحضارة الإسلامية، والتوجيه السديد للأدب الإنشائي.

لذلك شعر هذا القسم بمسؤوليته الخطيرة وأخذ يعد لها المقومات اللازمة من أساتذة وطلاب ومكتبة، فهؤلاء طلابه وقد حصلوا على الشهادة الثانوية (البكالوريا المصرية، ثم التوجيهية) أو ما يعادلها، وهم مصريون وشرقيون من السودان وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وإيران وأفغانستان والهند والصين واليابان وأندونيسيا وبلاد الغرب والغرب العربي، جمعت بينهم هذه الثقافة الإسلامية فائتلفوا حولها في هذا المكان، يمارسون بإشراف الأساتذة وهديهم بحث ماضيها وبعثه بمناهج علمية جديدة، ويتبينون ما فيها من عناصر القوة والجمال والخلود، ويتعرفون مقدار

تفاعلها مع الحضارة الإنسانية وصلاحيتها لبناء حضارة للشرق العربي يقوم عليها مستقبله المأمول.

وهؤلاء أساتذة هذا القسم وعلى رأسهم طه حسين، منهم المصريون أمثال: أحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، وعبد الوهاب عزام، وأمين الخولي، وأحمد الشايب، وطه إبراهيم، وعبد الوهاب حمودة، ومصطفى السقا، ومحمد خلف الله أحمد، أتوا إلى الكلية بالتوالي يشاركون في إنشاء هذا القسم، وإقامة قواعده وتحقيق أهدافه.

وقد توزعوا العمل فيما بينهم، فمنهم من كان للأدب: نقده وتاريخه، ومنهم من كان لعلومه من نحو وبلاغة وعروض، ومنهم من كان لمقوماته كالفارسية، أولئك غير من كان ينهض بدرس التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية والآداب الشرقية والغربية وغيرها.

عمل هذا الرعيل الأول ليكون وسيلة لتكوين جيل جديد من أبناء القسم يستطيع النهوض بالدراسة الجديدة على وجه أكمل، لما توافر له من سلامة المناهج وسعة الثقافة وكفاية المقومات، ثم إرسال طائفة منه إلى الجامعات الأوربية لاستكمال ذلك، وهذا هو ما حدث فعلا، حتى رأينا خريجي القسم يؤثرون في التعليم العام، وينهضون بنصيب منه وفير في الكلية، ويغنوننا إلى حد ما عن المستشرقين، وسنصادف بعض هؤلاء يدرسون بالقسم وغيره ويؤلفون وينشرون ويترجمون قسطا مما يتصل بدراسته وأهدافه.

ثم هؤلاء المستشرقون الذين استقدمتهم الجامعة بإرشاد القسم ليشاركوا في النهوض به، كلّ فيما تخصص فيه أمثال: نللينو (مصادر تاريخ اليمن)، وتوماس أرنولد (التاريخ الإسلامي)، وبرجستراسر (التطور النحوي)، وجويدي (علم اللغة

العربية الجنوبية القديمة)، وشاده (للدراسات السامية)، وليتمان (لفقه اللغة)، وغيرهم ممن لا يزال القسم بصدد استدعائهم إلى الآن.

وكان القسم أول عهده قد فرّع منه فرعا للغات السامية، يعنى بالتوسع في دراستها، ويأخذ من مواد اللغة العربية ما يقوم دراسته، ثم عاد فألغى هذا الفرع، ثم استبدل به معهد اللغات الشرقية القائم الآن بالكلية يلتحق به خريجو قسم اللغة العربية ومن في مستواهم، ويتشعب هذا المعهد إلى فروع ثلاثة: فرع اللغات السامية، وفرع اللغات الإسلامية، وفرع اللهجات[١].

كذلك أنشئ في مكتبة الجامعة قسم خاص أطلق عليه أول الأمر «مكتبة الدراسات الإسلامية»، وكان الغرض منه أن يكون تزويد طلاب معهد يسمى «معهد الدراسات الإسلامية» يلتحق به خريجو قسم اللغة العربية ومن في مستواهم للتخصص في علوم التفسير والحديث وأصول الفقه والبلاغة، وما يتمم ذلك من دراسات، ولكن بعض الجهات وقفت في سبيله فسكت عنه إلى الآن[٢].

---

(١) راجع دليل الكلية (ص٩٠) لسنة (١٩٤٩-١٩٥٠).
(٢) راجع مشروع هذا المعهد في ملفات كلية الآداب سنة (١٩٣٧م).

- ٩ -

وهنا يحسن أن نصور في إجمال مناهج هذا القسم في دراسته وفي بحوثه العليا، ونبدأ بهذه الخطوة الأولى التي أعلنها وأذاعها الدكتور طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي» ثم في طبعته الثانية بعنوان «في الأدب الجاهلي» تلك هي أنه يصطنع «في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما، والناس جميعا يعلمون أن هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة يوم ظهر قد كان من أخصب المناهج وأقواها وأحسنها أثرا، وأنه قد جدد العلم والفلسفة تجديدا، وأنه قد غير مذاهب الأدباء في أدبهم والفنانين في فنونهم، وأنه هو الطابع الذي يمتاز به هذا العصر الحديث»[١].

ثم أخذ يطبق هذا المنهج في درسه الأدب الجاهلي تطبيقا عاما انتهى به إلى الشك في نسبة قسم من الشعر الجاهلي إلى من ينسب إليهم من الجاهليين، وربما كان في هذا التطبيق مبالغة ملحوظة.

وفي هذا الكتاب تعريف رائع بالأدب ونقده وتاريخه ومقوماته الدراسية، ومقاييس التاريخ الأدبي: السياسي والعلمي والأدبي، ثم حملة عنيفة على طرق الدراسة الرسمية في مصر، ولا سيما ما هو جار في دار العلوم، ودعوة إلى إصلاح

(١) في الأدب الجاهلي (ص٦٥ -٦٦)، ط١٩٣٣.

هذه الدراسة، وسخرية قاسية بالقائمين عليها، ونداء في الشبان أن يستعدوا للتجديد والنهوض بأعبائه وترسم طرق إصلاحه[١].

وعاد فرسم منهجًا واضحًا لتاريخ الأدب العربي حين عزم هو والأستاذ أحمد أمين والأستاذ عبد الحميد العبادي أن يسيروا في هذه الدراسة على توزيع نواحيها بينهم، فيكتب أحمد أمين في الحياة العقلية، وعبد الحميد العبادي في الحياة السياسية، ويكتب طه حسين في الحياة الأدبية.

ويقول في ذلك وهو يقدم «فجر الإسلام» لأحمد أمين: «كانت القاعدة التي اعتمدنا عليها في البحث أن الأدب الغربي كغيره من الآداب بل كغيره من كل ما يتصل بالحياة الإنسانية، بل كغيره من كل ما يصلح موضوعا للدرس في هذا الكون، شيء لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه منقطع الصلة عما حوله، وإنما هو جزء من كل، وليس إلى معرفة الجزء سبيل إذا لم يعرف الكل أو إذا لم يعرف ما يحيط به من الأجزاء الأخرى على أقل تقدير، وإذن فلا ينبغي أن نقف جهودنا على درس الشعر والنثر وحدهما، وتعرف ما لهما من قيمة فنية، وإنما ينبغي أن يدرس الشعر والنثر من حيث هما مرآة لحياة الأمة العربية في طور من أطوارها، وإذن فلابد من أن تعرف الأمة العربية في هذا الطور معرفة واسعة عميقة واضحة، تعرف في حياتها الخاصة بينها وبين نفسها، وتعرف في حياتها الخارجية بينها وبين الأمم التي اتصلت بها، ولابد من أن تعرف حياتها الخارجية والداخلية معرفة دقيقة مفصلة إلى أبعد حد يمكن أن تصل إليه الدقة والتفصيل، وعلى هذا قسمنا بحثنا إلى ثلاثة أقسام»[٢].

---

(١) نفس المرجع (ص١ -١٣).

(٢) فجر الإسلام: مقدمة (ص: ح).

وكان هذا المنهج وهو اعتبار الأدب واحدا من عناصر الحضارة العربية والإسلامية يتفاعل معها ولا يفهم بدونها هو المنهج الذي سارت عليه الدراسة الأدبية إلى الآن، وله تخضع الدروس وتؤلف الكتب، وبه تقدم البحوث للدرجات، سواء أكانت بحوثا تتصل بنص أو فن أدبي أو أديب أو طور من أطوار التاريخ الأدبي أو مسألة من مسائل العلوم الأدبية، إذ أن الحياة تسير على قاعدة تواصل عناصرها وتفاعلها مؤثرة ومتأثرة، ودرسها أو تاريخها إنما يكون ببعث الماضي كما حدث بجميع مقوماته وملابساته.

ومع ذلك لم يظهر من هذا المشروع العظيم إلى الآن إلا هذه المؤلفات القيمة التي كتبها أحمد أمين: «فجر الإسلام» في جزء، و«ضحى الإسلام» في ثلاثة، وأجزاء من «ظهر الإسلام»، وكم تمنى الدارسون لو مد الله في حياة أحمد أمين وأمده بالقوة ليسير قدما في كتابة هذه السلسلة من تاريخ الحياة العقلية للأمم الإسلامية، إذ ليس من شك في أنه خضع فيها لمنهج منطقي عملي سديد، وأوضح أهم الجوانب التي تتصل بالأدب، وتعين على فهمه وتعليل خصائصه، وهي جوانب اجتماعية وثقافية وعلمية ودينية[١].

وكانت آثار أحمد أمين هذه تنشر بسرعة في مصر وبلاد الشرق العربي، ويقبل عليها المستشرقون قارئين ناقدين معجبين، وتعد كتبا أصيلة في بابها ومرشدا وعونا للباحثين، وصورة من صور الدرس الأدبي في الجامعة المصرية.

وإذا كان الأستاذ عبد الحميد العبادي لم يخرج إلى الآن سلسلة التاريخ السياسي فقد كان في دروسه وإشرافه على البحوث موفقا في خدمة الدرس الأدبي،

---

(١) يحسن الرجوع إلى هذه المؤلفات نفسها لإدراك قيمتها العلمية، وراجع «حياتي» لأحمد أمين (ص ٢١٣-٢١٦ و٢٩٠).

إذ كان ممتازا يربط الجانب السياسي بالجانب الأدبي، وقد أعانه على ذلك اطلاع واسع على المصادر الأدبية الخالصة وما في مصادر التاريخ السياسي من نصوص أدبية طاغية.

أما طه حسين -وإن كان لم يصدر سلسلته الأدبية- فإنه أخذ ينشر دراساته ومحاضراته في كتب متفرقة ملتزما ذلك المنهج الذي رسمه في مقدمة فجر الإسلام وضحاه[١] ومنها -وإن جاء بعضها متقدما أو متأخرا-: «حديث الأربعاء»، و«حافظ وشوقي»، و«من حديث الشعر والنثر»، و«مع المتنبي»، و«فصول في الأدب والنقد»، و«مع المعري في سجنه»، ذلك غير محاضرات في الكلية وخارجها، وغير إشرافه على أبحاث الدراسات العليا، وغير آثاره الثقافية علمية وفنية موضوعة أو مترجمة[٢]، وهي مجال عريض للباحث العالم والقارئ المثقف والفنان المستمتع والمنشئ المتطلع في كل بلاد الشرق العربي.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فإن الدرس الأدبي أخذ يتسع أفقه، وينتفع بما حوله في كلية الآداب من دراسات فلسفية وفنية وشرقية وغربية، تنهض بها أقسام الكلية ومعاهدها، حتى عادت هذه الدراسات الأدبية وكأنها المحور الذي تدور عليه كلية الآداب، وإليه تنتهي جهود الأساتذة والطلاب، فكم من بحث أدبي يستغرق ثمرات فلسفية واجتماعية وجغرافية وفنية، وهذا طبيعي ما دام الأدب كان تعبيرا عن الحياة، وإذن يكون تاريخه ونقده قائما على كل مقومات هذه الحياة، وهذا حق لا شك فيه.

---

(١) راجع ضحى الإسلام (جـ١، ص: أ -هـ).

(٢) أورد إسماعيل أدهم في رسالته «طه حسين» ثبتا ببعض آثاره، وسائرها متداول معروف.

هذا المنهج العام الذي أجملناه لم يسلم من المهاجمة والنقد العنيف، كما لم يحرم عن المعاضدة والتحبيذ الشديد، وقد حدث ذلك في الجامعة وخارجها، وكان الهجوم منصبا على جانبين: جانب موضوعي يتصل بالمنهج ومقدار صلاحيته وتطبيقه على الأدب العربي، وجانب استطرادي يتصل بمقررات دينية أو تاريخية أو اجتماعية.

لذلك رأينا ثورة قوية تهب على الجامعة وعلى كلية الآداب خاصة، وهذه الثورة شغلت الصحف والمجلات والأندية والبرلمان والباحثين، أريق فيها حبر كثير، وسودت صحائف شتى، وصار ما دار حول هذا الجدل تراثا أدبيا يصور فترة من الصراع حول مناهج الدرس الأدبي، ومدى ما ينتهي إليه من حرية وما يمس من مقررات.

حدث ذلك عندما أصدر طه حسين «في الشعر الجاهلي»، وعرض لبعض المسائل المتصلة بالقرآن الكريم وبالتاريخ الإسلامي، وحاضر الطلاب والجمهور في ذلك، فتصدى له أساتذة منهم: مصطفى الرافعي، ومحمد أحمد الغمراوي، ومحمد الخضري، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمد عرفة، ومحمد فريد وجدي، ومحمد لطفي جمعة، ومحمد حسين[١].

ولسنا هنا بصدد هذا الجدل نعرضه ونفصل فيه، وإنما يعنينا أن نقرر أن منهاج الدرس الأدبي قد استقر على وجه منطقي سديد كما بينا من قبل، واستفاد من هذا

(١) راجع لهؤلاء بالترتيب: «تحت راية القرآن»، و«النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي»، و«محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي»، و«نقض كتاب الشعر الجاهلي»، و«نقض مطاعن في القرآن الكريم»، و«نقد كتاب الشعر الجاهلي»، و«الشهاب الراصد»، و«الشعر الجاهلي والرد عليه»، غير ما نشر في الصحف والمجلات، وراجع «طه حسين» لإسماعيل أدهم.

الجدل ما وضحه وصفاه وأقره[١].

ونشير هنا عاجلين إلى أن هذه المعركة بين القديم والجديد قد هزت المعاهد العلمية والصحف الأدبية، والنوادي الثقافية هزا عنيفا في مصر وفي الشرق العربي كله جعلها تستيقظ وتلتفت إلى نفسها: أين تقف من هذا الصراع؟ وكيف تفيد منه؟ وانتهى الأمر بها إلى أنها ألزمت نفسها تأثر الجامعة والسير في مضمارها، وإخضاع دراساتها لهذا المنهج الجديد.

فأما قسم اللغة العربية بكلية الآداب، فقد سار في سبيله قدما لا يلوي على شيء، يرصد الأدب في عصوره الأدبية وفي أقاليمه المختلفة، ويقف عند فنونه ومسائله ورجاله، فيدرس كلا حسب مقوماته بناء على ذلك الأصل العام الذي يعتبر الأدب من عناصر الحضارة ومقوماتها، وعليه يجب أن يدرس بينها ومعها لا منفصلا عنها ولا نابيا بها.

ثم التفتت مصر الإسلامية إلى نفسها في هذه الدراسة فأنشأت -بجانب كرسي أدب اللغة العربية العام -كرسيا لدراسة الأدب المصري الإسلامي، ليعنى بأدب هذه اللغة في مصر منذ الفتح الإسلامي إلى مطلع العصر الحديث، درسا قائما على اعتبار ذلك التفاعل بين الأدب العربي وبين مقومات الحضارة المصرية طبيعية

(١) وهذا المنهج الذي استقر وفهم حرية البحث الجامعي فهما صحيحا هو الذي رفض فيما بعد مشروع بحث «الفن القصصي في القرآن الكريم» لقيامه على أساس من الجهل العلمي، والضلال الديني، والفساد الخلقي بتزوير كلام العلماء، وقد عدله أصحابه بعد ذلك ونشروه، ولكن تعديلهم لم ينف عنه هذه المآخذ الخطيرة، والتي تبرأ منها الدراسات الجامعية الأصيلة، ووثائق مشروع هذا البحث مدونة في ملفات كلية الآداب، وقد طلب الملف رقم (٢٢/ ٤/ ١-٢) إلى مجلس الدولة في القضية رقم (١٤٦٣٥) لسنة (٨ق) حيث لجأ إليه أصحاب هذا المشروع، فقرر السيد المفوض رفض دعواهم، فتنازلوا عنها، وفروا من الميدان بعد أن هزموا في كل ميدان، وهكذا انتصر الحق على الباطل نصرا عزيزا.

واجتماعية وسياسية وتاريخية وفنية وغيرها، مما يمثل الدراسة الإقليمية في تاريخ أدب اللغة العربية، وقد شغل الأستاذ أحمد أمين هذا الكرسي، وبدأ دراسته بين سنتي (١٩٣٩ و١٩٤٦م).

وأخيرا بعد طه حسين وأحمد أمين، شغل أحمد الشايب كرسي الأدب العربي العام، وشغل أمين الخولي كرسي الأدب المصري الإسلامي، وسار الأمر على ذلك إلى الآن.

وقد عُني أحمد الشايب بوضع كتابَي: «الأسلوب»، و«أصول النقد الأدبي»، ليكونا مقدمة لدرس الأدب العربي، يسترشد بهما الطلاب حين نحملهم على هذه الأبحاث الأدبية المختلفة، ونطالبهم بالمناهج السديدة فيما يدرسون[١].

ثم ألف كتاب «تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني»[٢]، و«تاريخ النقائض في الشعر العربي»[٣]، ثم جمع أبحاثا له ومقالات في جزء[٤]، غير أبحاث ومقالات أصدرها سنة (١٩٥٠) في: «الأدب العربي بين الوحدة والتنوع»، و«أحمد شوقي: عصره وحياته وأدبه»، و«العصور السياسية والأدبية للدولة العباسية»، و«العامل السياسي وأثره في أدب العصر العباسي الأول»[٥]، وعدة تراجم أدبية، تناولت: زهير بن أبي سلمى، وعلي بن أبي طالب، والأخطل، وجريرا، وابن

(١) راجع مقدمة الأسلوب (ص: ج) طبعة سنة (١٩٦٦)، ومقدمة أصول النقد الأدبي الطبعة السابعة (ص: هـ -ز).
(٢) طبع أول مرة سنة (١٩٤٥).
(٣) طبع أول مرة سنة (١٩٤٦).
(٤) صدر سنة (١٩٤٦) في (٤٦٠ص).
(٥) مطبعة الاعتماد.

حمديس، ومحمد عبده، والبهاء زهيرا، والشريف الرضى، وغيرهم[١]، ولا يزال في بحوثه ونشره ودروسه وإشرافه على دراسات الماجستير والدكتوراه.

وكذلك عني أمين الخولي أول أمره بدرس البلاغة العربية، وكتب في ذلك بحوثا ومقالات هي: «البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها» سنة (١٩٣١)، و«البلاغة وعلم النفس» سنة (١٩٣٩)، و«مصر في تاريخ البلاغة» سنة (١٩٣٤)، وأخيرا «فن القول» سنة (١٩٤٦).

ولما شغل كرسي الأدب المصري الإسلامي أصدر «في الأدب المصري» سنة (١٩٤٣)، ذلك غير: «رأي في أبي العلاء» سنة (١٩٤٥)، و«رسالة للأزهر في القرن العشرين» سنة (١٩٣٦)، ومقال عن التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم (١٩٤٣)، ولا يزال يعمل في بحوثه ودروسه وإشرافه على دراسات الأدب المصري الإسلامي.

ولما كان أدب اللغة العربية في العصر الحديث غنيا ومتجددا، قوي الربط بين الأقطار العربية والإسلامية، مؤثرا في حياتها، عاملا على التقريب -أو التوحيد- الثقافي بينها، ثم هو متأثر بعوامل غربية وشرقية، يناهض الآداب العالمية فراهة وذيوعا وحرية، ويتفاعل معها، كان لابد من العناية بدرسه والإشراف على بحوثه وتوجيه آثاره، فاقتضى ذلك إنشاء كرسي لأدب اللغة العربية الحديث.

وقد تم ذلك، وكان «ذكرى أحمد شوقي» الشاعر المصري العظيم، شغل هذا الكرسي الأستاذ عبد الوهاب حمودة فنشر له: «التجديد في الأدب المصري الحديث» (١٩٤٩)، و«صورة العصر في شعر شوقي» (١٩٤٩)، كما أصدر كتاب «القراءات واللهجات» (١٩٤٨)، ومقالات في: «أسلوب الجاحظ» و«أسلوب

(١) صدرت عن مطبعة الإسكندرية قبل انتقال المؤلف إلى كلية الآداب بين سنتي (١٩٢٦-١٩٢٩) على النهج الجامعي أيضا.

المتنبي» و«أسلوب القرآن في المحاجة والجدل»، وبحثا في «تاريخ القرآن»، و«أسرار القسم في القرآن»، و«طفولة الشعر الجاهلي»، وغير ذلك، وهنا نلاحظ أن الجانب القرآني واضح في دراساته لأنه يقوم بتدريس القرآن الكريم في قسم اللغة العربية بعد ما نُحّيَ عنه مدرسه من قبل.

ومهمة هذا الكرسي شاقة، لكثرة الآثار العصرية وتنوعها، وتفرقها بين الأقاليم العربية والمهاجر، وتأثرها الواضح بالآداب الأوربية، مما يجعل الدراسة التاريخية والنقدية صعبة خطيرة.

وقد صار من اللازم الحتم أن نلتفت إلى الأندلس التي عاش فيها النفوذ الإسلامي ثمانية قرون وتأقلم فيها الأدب العربي، وكانت له مقومات هناك: طبيعية واجتماعية وتاريخية وفلسفية وجنسية، حتى حفل التاريخ بآثار له لا تزال باقية في المتاحف والمكتبات والسكان والحضارة الأسبانية، لذلك أنشئ لدراسته هناك كرسي بقسم اللغة العربية يحمل اسم «كرسي أدب اللغة العربية في الأندلس»، وكان إنشاؤه معاصرًا لافتتاح «معهد فاروق الأول للدراسات الإسلامية بمدريد»، ولإرسال بعض طلاب الدراسات الإسلامية إلى أسبانيا في نوفمبر سنة (١٩٥٠).

شغل هذا الكرسي الأستاذ مصطفى السقا، وكان قد نشر مما يتصل بهذا الكرسي كتاب «أزهار الرياض» في أخبار عياض ٣ج سنة (١٩٤٣)، وله غير ذلك من المنشورات: «سيرة ابن هشام» (١٩٣٦)، و«ديوان المتنبي بشرح العكبري» (١٩٣٦)، و«الوزراء والكتاب» للجهشياري (١٩٣٨)، و«فقه اللغة» للثعالبي (١٩٣٨)، و«مختار الشعر الجاهلي» (١٩٤٨) ولعله ديوان الشعراء الستة الجاهليين، و«القِرى لقاصد أم القُرى» (١٩٤٨)، و«معجم ما استعجم» للبكري ٣ج (١٩٤٨)، والمشاركة في نشر: «تعريف القدماء بأبي العلاء» و«سقط الزند» للمعري، وترجمة

«خرافات إيسوب» (١٩٤٧).

وواضح أن الأستاذ السقا خدم ناحية النشر خدمة قيمة يسَّر بها قراءة طائفة من الكتب على الدارسين، وقد بدأ هذا العام الدراسي (١٩٥٠-١٩٥١) يدرس للطلاب «مصادر الأدب الأندلسي».

كل هذه الدراسات الأدبية منهجية كما بينا، وإنشاء هذه الكراسي كان خاضعا لذلك المنهج القائم على التخصص، وفي تتبع الأدب: عصوره، وبيئاته الأدبية.

- ١٠ -

ذلك ما كان متصلا بالدراسة الأدبية الخالصة التي تتصل في الغالب بنقد الأدب وتاريخه، والآن ننتقل إلى هذه الدراسات المتصلة بعلوم الأدب ومقوماته، أو علوم اللغة العربية كما سماها الأقدمون، وقد خضعت هي أيضا لمنهج سديد مستقيم، وظهرت فيها آثار جديدة وجهود موفقة مضى ذكر بعضها، ومع ذلك فلنجملها هنا ونحن نذكر أصحابها.

وربما كان من الخير -أو من الطبعي حسبما يقضي تطور المواد نفسها- أن نبدأ بفقه اللغة، وقد كان هذا الدرس من المواد التي بكرت إلى الوجود في القسم على يد المستشرقين: جويدي صاحب «المختصر في علم اللغة الجنوبية القديمة» ألفه باللاتينية والعربية معا، وليتمان وقد حضر إلى الكلية ثانيا منذ عامين وحاضر الطلاب في «بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي»[١]، و«أسماء الأعلام في اللغات السامية»[٢]، وغير ذلك.

وأما برجستراسر فقد جمعت محاضراته التي ألقاها سنة (١٩٢٩م) بعنوان «التطور النحوي للغة العربية»[٣]، كما ينتظر أن تطبع محاضراته في طريقة نشر النصوص[٤].

(١) مجلة كلية الآداب، المجلد العاشر، الجزء الثاني.
(٢) نفس المرجع، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، وينتظر أن تنشر له هذه المجلة بحوثا أخرى.
(٣) طبعة خاصة بمطبعة السماح بمصر.
(٤) جمعت هذه المحاضرات وأعدت للنشر بيد بعض طلابه.

ولا يزال هذا الدرس ينمو على يد دارسي الساميات، فالدكتور فؤاد حسنين ينهض به الآن، وقد ألف له ونشر آثارا منها: «التوطئة في اللغة العربية» القاهرة سنة (١٩٤٠)، و«أداة التعريف في اللغة العربية»[١]، و«الهمزة»[٢]، و«الدخيل في اللغة العربية»[٣]، وغير ذلك من الآثار اللغوية وغيرها[٤].

وينهض الدكتور مراد كامل في هذا الجانب بتدريس السريانية والحبشية، ويصدر آثارا بالعربية والحبشية والألمانية، منها: «تاريخ اليهود» باللغة الحبشية (١٩٣٨)، و«رسائل إلى أثيوبيا من البطريرك يؤنس الثامن عشر ومرقص الثامن»، و«أثر العربية في اللغة النوبية» بالألمانية، و«صلة الأدب الحبشي بالأدب القبطي» و«القنى، لون من الشعر الحبشي»، و«الرهبنة في الحبشة»، وغيرها[٥].

وتتقدم هذه الدراسات والكشوف المتصلة بها فيقدم الدكتور خليل نامي بحثه للماجستير عن «أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام»[٦]، وينشر نقوشا سامية من جنوبي بلاد العرب[٧]، و«من اللهجات اليمنية الحديثة»، و«نقوش جنوبية»، و«مفردات من تعز وتربة ذبحان»[٨].

---

(١) مجلة كلية الآداب، المجلد السابع.
(٢) نفس المصدر، المجلد الثامن.
(٣) نفس المصدر، المجلد العاشر.
(٤) راجع ثبت آثاره في الكتاب الفضي لكلية الآداب (ص٧٨).
(٥) ورد ثبت أبحاثه في الكتاب الفضي لكلية الأداب (ص٨٠).
(٦) مجلة كلية الآداب، المجلد الثالث.
(٧) مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية (١٩٤٣) بالقاهرة.
(٨) مجلة كلية الآداب مايو (١٩٤٦) ومايو (١٩٤٧) ومايو (١٩٤٨) على التوالي، والكتاب الفضي (ص٩٨).

كما أصدر الدكتور حمدي البكري -بالاشتراك- «تاريخ الأدب السرياني» في القاهرة سنة (١٩٤٩م)، و«رسالة الهاشمي إلى الكندي» و«رد الكندي عليه»[١]، ونشر كتاب «التطور النحوي للغة العربية» السابق ذكره لبرجستراسر (١٩٢٩م).

وقد اجتهد الدكتور خليل عساكر في عمل أطلس لغوي، وألقى بحثا عن «الأطالس اللغوية» بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في ٨ من يناير سنة (١٩٤٩)، وقد شارك قبل ذلك في نشر كتاب «أخبار أبي تمام» للصولي سنة (١٩٣٧م)، مع بعض كتاب «الذخيرة» لابن بسام.

وقدم الدكتور محمد القصاص بحثه للماجستير عن «ابن جني وفلسفته اللغوية»، ثم قدم للدكتوراه من جامعة باريس رسالتين، منهما ترجمة كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي، ذلك غير آثار أخرى موضوعة ومترجمة.

ونذكر هنا رسالة «قصة بحيرا الراهب» التي تقدم بها للدكتوراه إسماعيل معتوق، فإنها من صميم الدراسات السامية.

أما النحو فكان النهج في درسه أن يعتمد على الطلاب في تحصيل القواعد اللازمة لسلامة القراءة والكتابة في وضعها الأخير، ثم يمرنون على قراءة الكتب القديمة المختلفة لتفهم أساليبها، واستخدامها في الدرس التاريخي والنقدي، ثم النظر في بعض أبواب النحو نظرات فاحصة قد تؤدي إلى تفسيرها تفسيرا جديدا أو اختصارها.

وقد توجت هذه البحوث بكتاب «إحياء النحو» للأستاذ إبراهيم مصطفى، فكان محاولة اجتهادية قيمة، ربما أدى إتمامها إلى تغيير في مسائل النحو وحل بعض أو

(١) المرجع السابق، المجلد التاسع، الجزء الأول.

كل مشكلاته، وقد أثار هذا الكتاب جدلا كثيرا استفادت منه البحوث النحوية[١]، ونلاحظ أن هذا الكتاب كان فاتحة حملت الباحثين على النظر في تيسير النحو العربي وتبسيط مناهجه في المدارس الحكومية، وإعادة النظر في أصوله وتاريخه، لعلهم ينتهون من ذلك إلى إصلاح فيه أصيل، فلننتظر.

وقد قدمنا القول في النقد الأدبي، ونضيف هنا ما كتبه المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم في «تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري»[٢]، كما قدمنا القول في البلاغة، وقد انتهى الاتجاه الحديث إلى العناية بالنقد الأدبي، والاستغناء به عن هذا العنوان «البلاغة».

والكلية بصدد إنشاء كرسي للنقد الأدبي وآخر للنحو، وقد قدمت اقتراحا بإنشاء هذين الكرسيين، وأرجو أن يتم إنشاؤهما إن شاء الله تعالى.

ولا يزال العروض يدرس بأسلوبه القديم كما وضعه الخليل بن أحمد وتابعوه، ولكن من المحقق أن يناله الدرس على أصول موسيقية واضحة، وفتح باب الاجتهاد فيه مع الاستئناس بمناهج درسه عند الأوربيين[٣].

وهناك الدراسات الفارسية والتركية، وهي من مقومات الأدب العربي، تفاعلت معه لغة وثقافة وحضارة، وكانت من الدراسات السابقة في منهج قسم اللغة العربية، وقد رأينا الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام يشرف على هذه الدراسة من أول الأمر، وقد نشر لذلك «الشاهنامه» سنة (١٩٣٢م)، وبحثا في «أوزان الشعر وقوافيه في

---

(١) طبع كتاب «إحياء النحو» سنة (١٩٣٧م)، وراجع كتاب «النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة» بقلم محمد أحمد عرفة، وآثار الأستاذ إبراهيم مصطفى في تقويم دار العلوم سنة (١٩٤٩).
(٢) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة (١٩٣٧م).
(٣) راجع في ذلك «فن إنشاد الشعر العربي» تأليف الأب أغسطس فكيني، وترجمة إسحق الحسيني وغيره (١٩٤٥).

العربية والفارسية والتركية»[١]، وفصولا من «المثنوي» و«التصوف والعطار»، كما أن له آثارا أدبية أخرى منها: «ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام»، ونشر ديوانه، ونشر «كليلة ودمنة»، و«رسائل الصاحب بن عباد» بالاشتراك مع الدكتور شوقي ضيف، و«مجالس الغوري»، و«رحلات»، وغيرها.

وقد سار في هذا السبيل الدكتور يحيى الخشاب، فأصدر «ناصر خسرو» (١٩٤٠)، وترجم منفردا «سفرنامه» لناصر خسرو، و«حكايات فارسية»، وترجم بالاشتراك «چهار مقاله»، ونشر «خوان الإخوان»، وبعض مقالات أخرى[٢].

وكان نشاط الدكتور إبراهيم أمين الشواربي في هذه الدراسات قيما ملحوظا أيضا، فله من المؤلفات: «القواعد الأساسية لدراسة الفارسية» (١٩٤٣)، و«أغاني شيراز» في جزءين (١٩٤٤– ١٩٤٥)، و«حدائق السحر في دقائق الشعر» (١٩٤٥)، و«حافظ الشيرازي» (١٩٤٤)، ومن البحوث: «ما نقله الجاحظ من أخبار الفرس»، و«مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي»، و«نشأة الشعر الفارسي الإسلامي»[٣]، و«رحلة في إيران» (١٩٤٣)، وترجم «قصة الحضارة الفارسية» عن الإنجليزية (١٩٤٧).

كما ترجم الدكتور محمد موسى هنداوي «تاريخ الأدب الفارسي» للدكتور رضا زاده شفق، ونال الدكتوراه ببحث عن سعدي الشيرازي.

وفي التركية ترجم الأستاذ حمزة طاهر كتاب «تاريخ الحضارة الإسلامية» عن التركية تأليف فلاديمر بارتولد (١٩٤٢)، وكتاب «الدين والعلم» للمارشال أحمد عزت باشا (١٩٤٨)، ونشر «وراثة الشعر عند عبد الحق حامد» بمجلة كلية الآداب

---

(١) مجلة كلية الآداب (١٩٣٣).
(٢) راجع ثبت آثاره في كتاب العيد الفضي لكلية الآداب.
(٣) مجلة كلية الآداب (١٩٤٣ و ١٩٤٤ و ١٩٤٦).

(١٩٤٩)، و«شاعر فيلسوف» بمجلة الكاتب المصري (١٩٤٨م)، وغير ذلك.

ونُنبه هنا إلى أن هذه الدراسات السامية والإسلامية وفقه اللغة واللهجات أخذت تستكمل نموها إلى حد مرضي في معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب[1]، وهي دراسات تعود ثمراتها إلى خدمة الدراسات الأدبية كما هو مقرر معروف.

(١) راجع مناهج هذا المعهد في تقويم الكلية لسنة (١٩٤٩ - ١٩٥٠).

- ١١ -

ونعود إلى استقبال بقية الجيل الجديد من متخرجي قسم اللغة العربية، وهو الجيل الذي أخذ يتقدم لحمل تبعة هذه الدراسة، ويشارك في النهوض بها داخل كلية الآداب، ونسير في إيراد أسماء هذه الطبقة تبعًا لترتيب المواد التي يدرسونها.

والدكتورة سهير القلماوي أستاذة الأدب العربي المساعدة أصدرت بحثها للماجستير عن «أدب الخوارج» (١٩٤٥)، وبحثها للدكتوراه عن «ألف ليلة وليلة» (١٩٤٣)، «ثم غربت الشمس» في سلسلة اقرأ (١٩٤٨)، وترجمت «رسائل صينية في الأدب والاجتماع» (١٩٤٧)، ونشرت مقالا في «النقد عند اليونان» بمجلة الكاتب المصري[١].

وأما الدكتور شوقي ضيف أستاذ الأدب العربي المساعد فنشاطه قوي ملحوظ أيضا، أصدر رسالته للدكتوراه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» سنة (١٩٤٢)، و «الفن ومذاهبه في النثر العربي» سنة (١٩٤٦)، و«الشعر الغنائي في الأمصار الإسلامية» سنة (١٩٤٩)، ونشر منفردا كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي سنة (١٩٤٧) -وهو الذي ترجمه الدكتور القصاص لجامعة باريس- ونشر مع الدكتور عبد الوهاب عزام «رسائل الصاحب بن عباد» (١٩٤٧)، وقد أصدر بالاشتراك «الخريدة» القسم الخاص بمصر، وأصدر «الشعر في عصر بني أمية»، ولا يزال يتابع نشاطه المتنوع الممتاز[٢].

---

(١) الكتاب الفضي (ص٩٩).

(٢) راجع الكتاب الفضي (ص٩٧).

وهذا الدكتور نجيب البهبيتي أصدر بحثه القيم للماجستير «أبو تمام الطائي»، وبحثه الممتاز للدكتوراه «تاريخ الشعر العربي إلى آخر القرن الثالث»، غير مقالات وأحاديث وبحوث أدبية تاريخية شتى متتابعة ممتازة.

والأستاذ يوسف خليف له بحثه الممتاز للماجستير «الصعاليك وشعرهم في العصر الجاهلي»، غير أبحاث ومقالات أدبية.

وكذلك زميله الأستاذ حسين نصار له بحث قيم للماجستير «نشأة الكتابة الفنية»، غير آثار أخرى مترجمة وموضوعة.

وأما في الأدب المصري الإسلامي، فنذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ هذه المادة المساعد، وله: «الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول» سنة (١٩٤٧)، و«أدب الحروب الصليبية» (١٩٤٨)، و«الحركة الأدبية في مصر الأيوبية» (١٩٤١)، و«ابن المقفع» (١٩٣٧)، و«أدب المقالة الصحفية في مصر» ٤ج (١٩٥٠)، و«حكم قراقوش» (١٩٤٥)، و«صلاح الدين» (١٩٤٤)، وترجم بالاشتراك «تراث الإسلام» (١٩٣٦)، وهو يواصل إنتاجه القيم[١].

والدكتور محمد كامل حسين أستاذ هذه المادة المساعد له: «في الأدب المصري الإسلامي (١٩٣٩)، و«في الأدب السوفيتي» (١٩٤٤)، و«المجالس المستنصرية» (١٩٤٦)، و«سيرة المؤيد في الدين» (١٩٤٩)، و«نظرية المثل والممثول» (١٩٤٨)، و«التشيع بمصر قبل الفاطميين» (١٩٤٩)، و«أدب مصر الفاطمية» (١٩٥٠)، ونشر: كتاب «الهمة في آداب اتباع الأئمة» (١٩٤٧)، و«ديوان المؤيد» (١٩٤٨)، غير مقالات أخرى[٢].

(١) نفس المرجع (ص٩٣).
(٢) نفس المرجع (ص٢٠٢).

والدكتور عبد الحميد يونس له: «الأزهر» (١٩٤٦) بالاشتراك، و«البطالة ووسائل علاجها»، و«التعليم الإقليمي وأثره في علاجها» (١٩٣٥)، ويترجم بالاشتراك: «دائرة المعارف الإسلامية»، ثم «عالم الغد» (١٩٤٦)، و«فلسفة الجمال» (١٩٤٧)، و«لافوازيه».

ولم يقف النتاج العلمي عند هؤلاء الخريجين الذين يعملون في كلية الآداب، بل جاوزهم إلى غيرهم ممن يعملون في المدارس والمعاهد العلمية والدواوين الحكومية، فهؤلاء لهم آثارهم تأليفا وترجمة ونشرا وأبحاثا للدرجات الجامعية وأحاديث في الإذاعة، حتى استطاعوا أن يؤثروا بجهودهم وآثارهم في توجيه الثقافة ومادتها وأهدافها مما غير طرائق التفكير وأساليب التعبير.

- ١٢ -

وفي أثناء ذلك النشاط المتتابع في كلية الآداب وما كان له من سطوع ودفع، اضطرت المعاهد العلمية في مصر أن تساير نهج الجامعة في هذه الدراسة ما دامت استقرت وثبتت صحتها وفائدتها.

فأما دار العلوم فقد نشطت في أخذها بمناهج قسم اللغة العربية بكلية الآداب، مع احتفاظ ببعض تقاليدها التي مكنت لها من تخريج مدرس اللغة العربية الناجح، ومن التفوق في علوم اللغة العربية ولا سيما النحو والصرف على المذهب المستقر والتقليدي، ومن المعرفة الكافية بالعلوم الإسلامية، كالفقه والتوحيد وأصول الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم.

ثم أخذت تتخلى عن التربية ودراساتها، لتكون معهدا علميا خالصا، وأخيرا في ٢٤ إبريل سنة (١٩٤٦) ضُمت إلى جامعة فؤاد الأول، وصارت إحدى كلياتها، وبذلك صار في هذه الجامعة قسم اللغة العربية بكلية الآداب وكلية دار العلوم، حتى أخذ الناس يسألون: أيكون في جامعة واحدة مدرستان من نوع واحد؟ وهل يمكن أن تُكَيَّفَ دار العلوم لتأخذ شكلا جديدًا ممتازا كأن تكون معهدًا للدراسات الإسلامية؟!

ومهما يكن من الأمر فإن دار العلوم بما لها من أصالة في درس علوم اللغة العربية، وبما انتهت إليه من كونها كلية جامعية لها كراسي الأساتذة، وبما اضطرت إليه من انتهاج مناهج الجامعة، فقد التفتَ الأساتذةُ والطلاب إلى معهدهم وأنفسهم، وأخذوا يعنون بالتأليف والترجمة والنشر بهذا الأسلوب الجامعي.

وبذلك وجدنا للأستاذ إبراهيم مصطفى آثاره التي أشرنا إلى بعضها من قبل، ومنها: «نشأة النثر العربي»، و«مخالفات المتنبي النحوية»، و«نحو أبي العلاء»، و«واضع النحو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي»، و«التطور النحوي للغة العربية»، و«تاريخ مناهج البحث النحوي»، و«تحديد العصر الجاهلي من (٥٢٥-٦٢٢م)»[١]، وليس من شك أن أبحاث الأستاذ إبراهيم مصطفى تمت في كلية الآداب، ولكنا ذكرناها له هنا إذ أنه الآن أستاذ النحو بدار العلوم وعميدها[٢].

وكان الأستاذ عبد الحميد حسن يشغل كرسي النصوص بهذه الكلية، ويدرس النحو بمعهد الدراسات العليا، فأصدر لذلك: كتاب «القواعد النحوية: مادتها وطريقتها»، و«صفحات من الأدب المصري من العهد الفاطمي إلى النهضة الحديثة»، و«الأصول الفنية للأدب»، ومقالات وبحوثا أخرى في صحيفة المعلمين وصحيفة دار العلوم.

وكان الأستاذ السباعي بيومي يشغل كرسي تاريخ الأدب العربي بدار العلوم، فأصدر لذلك سلسلة في تاريخ الأدب من العصر الجاهلي إلى عصر المماليك، و«تهذيب الكامل» للمبرد.

أما الدكتور إبراهيم سلامة أستاذ البلاغة والنقد الأدبى، فقد أصدر القسم الأول من ترجمته «خطابة أرسطو»، وأصدر بالفرنسية «الثقافة الإسلامية في مصر»، ومصادر تحليلية نقدية من هذه الثقافة من عهد المماليك إلى اليوم، و«روح التعاون الفكري والتضامن الخلقي في الطفل» وغير ذلك من الدراسات المتوالية لطلاب

---

(١) راجع تقويم كلية دار العلوم لسنة (١٩٤٩) ص ٢١، وهذا التقويم هو مرجع ما أوردنا هنا من الآثار العلمية لأساتذة هذه الكلية.

(٢) انتهت مدة خدمته في أكتوبر (١٩٥١م).

الكلية.

وقد عني الأستاذ حامد عبد القادر أستاذ فقه اللغة والدراسات السامية والشرقية بمادته فأصدر: «اللغة الفارسية وآدابها»، و«اللغة العبرية ومقارنتها بالعربية»، و«تاريخ التصوف الإسلامي»، و«في علم النفس» بالاشتراك، و«دراسات في علم النفس الأدبي»، و«فلسفة المعري من شعره»، ومقالات وبحوثا أخرى.

وكذلك الأستاذ علي حسب الله أستاذ العلوم الشرعية له: كتاب «التوحيد»، وكتاب «الميراث»، و«عيون المسائل»، و«من هدي السنة»، و«أصول التشريع الإسلامي».

وكان الدكتور علي عبد الواحد قد نقل فترة إلى دار العلوم، وشغل بها كرسي الفلسفة، وله كثير من المؤلفات والبحوث بالعربية والفرنسية، منها: «علم اللغة»، و«فقه اللغة»، و«الاقتصاد السياسي»، و«نظرية اجتماعية في الرق»، و«الأسرة والمجتمع»، و«اللغة والمجتمع»، و«المسؤولية والجزاء»، وبحوث كثيرة أخرى(١).

وأما الأستاذ أحمد زكي صفوت أستاذ الأدب العربي (النصوص)، فله: «جمهرة خطب العرب»، و«جمهرة رسائل العرب»، و«الكامل في النحو»، و«علي بن أبي طالب»، و«عمر بن عبد العزيز»، وآثار أخرى بالاشتراك مع غيره.

والدكتور إبراهيم أنيس: «الأصول اللغوية»، و«اللهجات العربية»، و«موسيقى الشعر».

وللأستاذ عمر الدسوقي: «تاريخ فلاسفة الإسلام»، و«إخوان الصفا»، و«في الأدب الحديث»، و«الفتوة عند العرب»، وبحوث أخرى.

(١) الكتاب الفضي لكلية الآداب (ص ٦٥).

وللأستاذ عبد الرازق حميدة: «في الأدب المقارن»، و«سيف بني مروان الحجاج الثقفي»، و«قصص الحيوان في الأدب العربي»، و«الأدب المصري إلى عهد الفاطميين».

والأستاذ أحمد الحوفي: «الغزل في العصر الجاهلي».

وهكذا أخذ أساتذة كلية دار العلوم ينشطون إلى النهوض بواجبهم الجامعي، ويصدرون بحوثا ومؤلفات أتينا هنا على طائفة منها، وتجد سائرها واردا بتقويم الكلية، إذ ليس هنا مجال الاستقصاء.

ويلاحظ أن رجال دار العلوم يستقبلون في ظل الجامعة عهدا جديدا أغراهم بالمشاركة الجدية في التأليف والترجمة والنشر، حتى ليرجو الناس على أيديهم خيرا كثيرا يصلون به لمعهدهم مجدا طريفا بمجد تليد، فلنتركهم الآن فيما هم بسبيله من جد وتنافس وطموح.

نتركهم لننتقل مع أبنائهم إلى المدارس والمعاهد العلمية، فقد أخذت هذه المناهج الجامعية تتسرب آثارها إلى دراسة الأدب وعلومه في المدارس، وأخذ رجال وزارة المعارف يغيرون مناهج الدراسة بها مستعينين بأساتذة الجامعة، ومشركيهم معهم في الامتحانات العامة.

وعلى هذا الأساس صدرت كتب مدرسية متأثرة بمنهج الجامعة، وآخرها يمتاز بالعناية بدرس النصوص فقها ونقدا، واتخاذها أساسا لقضايا التاريخ الأدبي، ثم دراسة ثقافية أدبية مقارنة في السنة التوجيهية التي تعد للدراسة الجامعية، وكذلك

أخذت قواعد النحو والصرف والبلاغة تسلك سبيلا عملية ميسرة، وصارت كتب القراءة الداخلية والخارجية وسيلة أدبية ثقافية تصل بين التلاميذ وبين الحياة في ميادينها المختلفة، وصارت الدراسة مهمة ينهض بها خريجو دار العلوم وكلية الآداب جميعا.

فإذا انتقلنا إلى معاهد التربية والمعلمين، والمدارس الخاصة، والقسم الثانوي بالأزهر الشريف، وجدنا الجديد في دراسة الأدب استجابة لهذه المناهج الحديثة.

وكان المفروض أن نفرد كلية اللغة العربية بفصل من فصول هذا البحث، ولكن كلية اللغة العربية ليست إلا صورة تقليدية لدار العلوم، تتأثرها في كل شيء لتشاركها في مهمتها، ومن يدري لعلها تحدث نفسها لتكون بدلها! ومهما يكن من أمر فإننا نرحب بتعاونها في هذه الدراسات الأدبية، وننتظر من جانبها خيرا كثيرا، بشرت به بعض بحوثها.

- ١٣ -

وهذا قسم اللغة العربة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية، وهو قسم أنشئ على غرار زميله في القاهرة مع اختلاف يسير في النظم، ولكنه هو أيضا تجرد منذ إنشائه للنهوض بواجبه، وكان أساتذته من أساتذة جامعة فؤاد وخريجيها، فالمنهج الدراسي واحد في أصوله.

وقد تولى شؤون هذا القسم أولا حين كان فرعا لزميله في القاهرة الأستاذ أحمد الشايب، وهناك ألف له كتابَي: «الأسلوب»، و«أصول النقد الأدبي».

ولما استقل هذا القسم في جامعة فاروق تولى أمره الأستاذ إبراهيم مصطفى، ثم الأستاذ محمد خلف الله أحمد، وهو الذي أصدر: «دراسات في الأدب الإسلامي»، و«من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده»، و«الطفل من المهد إلى الرشد»، وغيرها.

ومعه الأستاذ محمد طه الحاجري ناشر «بخلاء» الجاحظ، وكاتب «حياة الجاحظ وآثاره»، وبحوث أخرى، والأستاذ محمد حسين الذي أصدر «الهجاء والهجائين إلى آخر القرن الأول»، ونشر «ديوان الأعشى»، وكان معهم الأستاذ عبد السلام هارون المعروف بنشر الآثار العلمية القديمة، وقد نقل أخيرا إلى كلية دار العلوم بالقاهرة.

ونشير إلى قسم اللغة العربية بجامعة إبراهيم باشا الكبير (عين شمس)، وهو قسم ناشئ، ولا شك أنه سيكون على العموم كزملائه في الجامعتين السابقتين، وكذلك الأمر سيكون في جامعة محمد علي الكبير (أسيوط)، وقد طلب إليّ وضع

مشروع لتأسيسه فوضعته على هدي ما لقيت من التجارب في جامعة فؤاد، وأرجو أن يكون صورة طريفة لمعهد اللغة العربية بالجامعة الناشئة.

ويستطيع المؤرخ أن يرد هذه الأقسام والمعاهد جميعا إلى أصل واحد هو قسم اللغة العربية في جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، إذ هو القسم الذي وضع أساس الدراسة المنهجية الحديثة، وحشد لها من الأساتذة الشرقيين والمستشرقين من مهدوا لها وأقاموا قواعدها، وأعد لها المكتبة، ووصلها بغيرها من الدراسات الشرقية والغربية، وأعدها مسايرة لزميلاتها في الآداب الأوربية، ومثلها في المؤتمرات وفي بلاد الشرق العربي وفي معاهد الدراسات الشرقية بإنجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها، وأرسل البعوث إلى أوربا وآسيا لتقويمها، وفرضها على مصر وبلاد الشرق العربي والغرب العربي حتى استقرت هذه الدراسة وصارت أمرا مقررا لا محيد عنه، وأخذت جميع المعاهد والأقسام الأخرى تنتفع بتجاربه وأساتذته وخريجيه وآثاره.

حتى كلية دار العلوم التي تعد أسبق المعاهد إلى الدراسات الأدبية المنظمة بمصر في العصر الحديث، هي أيضا قد دخلت في طور جديد من أطوار حياتها الأدبية منذ صارت جامعية، واصطنعت مناهج الدراسة الأدبية على طراز قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد، وأخذنا نحن نبتهج حقا بمحاولاتها في باب البحوث الجامعية العليا، ونرجو لها أن تصل مستقبلها المجيد بماضيها التليد.

- ١٤ -

لم تكن الجامعات والمعاهد العلمية وحدها تنهض بهذه الدراسات الأدبية وتمليها على الناس بمصر وبلاد الشرق العربي، وإنما كان هناك مدارس أدبية حرة غير رسمية اعتمدت على نفسها، وقامت بجهود جبارة سايرت فيها المدارس والجامعات الرسمية وسابقتها، وكانت ذات أثر خطير في هذه النهضة الثقافية والأدبية الحديثة، وكانت هذه المدارس الحرة أو البيئات غير الحكومية ممتازة بهذه الموازنة بين الأدب الإنشائي من جهة وبين الأدب النقدي التاريخي من جهة أخرى.

فمنذ فجر هذا العصر الحديث أخذت اللغات الأوربية سبيلها إلى هذه البلاد في المدارس المصرية وغيرها، كما أخذت المطبعة تنشر كتب الأدب القديم، وعلى هاتين درست طبقة من المصريين دراسة ثقافية أصيلة جمعت بين ثقافة ومناهج الغرب وبين مادة وثقافة الشرق، جمعا قويا أساسه الرغبة في الدرس والثقافة وحب الرقي ومناهضة أوربة.

وأخذ هذا الروح يتقدم ويقوى ويتسع، معتمدا على اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية، وعلى أمثال الطبري وابن الأثير و«العقد الفريد» و«الكامل» للمبرد و«أمالي» القالي ودواوين الشعراء: تدرس وتقرأ وتؤلف وتنشر في الصحف والمجلات، مثمرة لونا طريفا من الأدب الحديث، فيه من الغرب ثقافة ومنهج ومن الشرق مادة وأساليب.

ويتقدم القرن العشرون ومعه طلائع هذه الطبقات التي تكون من مجموعها جامعة حرة تشارك في بناء نهضتنا الحديثة، وتقوم من دراساتنا الأدبية، ومن عجب أن

هذه الطبقات سبقت إلى الجديد، وبشرت به قبلما تنبهت إليه المدارس الحكومية، فكان هناك تياران: محافظ في المدارس ومجدد في الصحف والنوادي، وكان هذا التيار المجدد سابقا ثم معاصرا لنهضة الجامعة المصرية أهلية ثم حكومية[١].

ويجب أن نذكر هنا ثانيا أن هذه الطبقات التي تعلمت في المدارس المدنية واطلعت على الآداب الغربية، كانت تتناول الأدب إنشاء: تقول الشعر وتنشئ القصص وتكتب المقالات والرسائل وتلقي الخطب، فإذا أدب جديد ينشأ ليمثل هذا الطور الثقافي في مصر الحديثة، ثم تتناول الأدب العربي القديم بالنقد والتاريخ، تحلل نصوصه وتفسرها وتدرس فنونه وشخصياته وفتراته الأدبية.

فإذا مناهج جديدة تعتمد على البيئة الطبعية والسياسية والاجتماعية، وعلى استخدام علم النفس الفردي والاجتماعي وعلى علم الجمال وسائر العلوم والفنون.

وإذا هذه الدراسات تكشف لنا عن جوانب القوة والجمال في الأدب القديم وعن قيمته العقلية والشعورية، حتى حيّ من جديد، وصار محببا إلى نفوس القراء الذين عثروا بمفاتيحه في أقلام هؤلاء الكتاب الذين تحللوا من الرسميات الأدبية وعاشوا حياة أدبية طريفة، واستطاعوا أن يستجيبوا لرغبات القراء الذين وجدوا في هذه الآثار الطريفة جمالا وثقافة ومجاراة لروح العصر الحديث.

وربما كان من الخير أن أشير هنا بإجمال إلى بعض رجال هذه الطائفة دون حصر أو استقصاء، فهم كثير، وكثرتهم تزداد كل يوم، وهم وحدهم في حاجة إلى تصنيف وتأليف ودراسة ونقد[٢].

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي (ص٦ – ٧) مطبعة الاعتماد سنة (١٩٢٧).

(٢) يلاحظ أن وصف هؤلاء وآثارهم يحتاج إلى دراسة خاصة مفصلة ليست من خطتنا في هذا العرض الجامعي السريع.

من هؤلاء: الدكتور محمد حسين هيكل صاحب: «حياة محمد»، و«في منزل الوحي»، و«الصديق أبي بكر»، و«الفاروق عمر بن الخطاب»، و«ثورة الأدب»، و«جان جاك روسو»، و«تراجم شرقية وغربية»، وغيرها مما دل على اطلاع واف وثقافة إسلامية حسنة.

وعباس محمود العقاد الكاتب العصامي الممتاز، صاحب: «ابن الرومي من شعره»، و«ساعات بين الكتب»، و«مطالعات»، و«مراجعات في الأدب والفنون»، ومجموعة العبقريات، ودواوينه المتعددة، و«شعراء مصر في الجيل الماضي»، غير الروايات والأبحاث والمقالات الكثيرة في السياسة والأدب والاجتماع والتاريخ، وهي آثار تدل على عبقرية ممتازة.

وإبراهيم عبد القادر المازني صاحب: ديوان شعريّ، و«إبراهيم الكاتب»، و«حصاد الهشيم»، و«قبض الريح»، و«بشار»، سوى آثار أخرى ومقالات سياسية واجتماعية وأدبية كثيرة جدا.

والدكتور زكي مبارك صاحب: «النثر الفني في القرن الرابع»، و«عبقرية الشريف الرضى»، و«التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق»، و«حب ابن أبي ربيعة وشعره»، وديوان شعريّ، و«الأخلاق عند الغزالي»، وغير هذا كثير ما بين تأليف ومقالات وبحوث لا تزال تترى إلى اليوم.

وقد قدمنا أن الرافعي كان من الذين رصدوا الجامعة أهلية وحكومية، وأخذ ينقدها ويتحداها ويؤلف لها، وآثاره الأدبية كثيرة منها: «حديث القمر»، و«السحاب الأحمر»، و«وحي القلم»، وديوانه الشعري، ورسائله التي نشرت أخيرا.

وكان السيد مصطفى المنفلوطي ممن فتن الشبان بقلمهم إلى عهد قريب، فهو صاحب: «النظرات»، و«العبرات»، و«مختارات»، و«في سبيل التاج»،

و«ماجدولين»، و«الشاعر»، وغيرها وضعا وترجمة، وكان يعتمد على مخاطبة العاطفة كثيرا.

وهذان توفيق الحكيم ومحمود تيمور من كتاب القصص المجودين، وهذا علي أدهم الكاتب المعروف ذو الآثار المنشورة القيمة، والأستاذ محمد عبد الغني حسن، والأستاذ سيد قطب، والأستاذ السحار، ولقد تركنا إلى أمريكا الدكتور أحمد زكي أبو شادي صاحب الآثار الكثيرة الجديدة التي حاول بها فرنجة الشعر العربي، ونقله نقلة جريئة جديدة حملته أعباء ثقالا.

وهذا الدكتور محمد مندور الذي ترك الجامعة إلى الصحافة، وأخذ يحذو حذو أستاذه الدكتور طه حسين، يترجم ويكتب في الأدب والنقد والاجتماع والسياسة، ويبلغ في ذلك مبلغا محمودا.

وإذا أنا حاولت إحصاء المعاصرين حاولت أمرا عسيرا، وكل ما رغبت فيه هنا أن أشير فقط إلى ذلك التيار الصحفي أو الكتابي الحر الذي يعمل خارج الجامعات والمعاهد الرسمية، ولكنه ليس أقل أثرا في جماهير القراء، وربما كان أبعد أثرا لاعتماده على السهولة والبسط والتيسير، بعكس البحوث الجامعية القائمة على العمق والتركيز والاستقصاء مما لا يلائم الجمهور، وإن أرضى المختصين وطبيعة البحوث الجامعية.

من هذين: الجانب الرسمي في الجامعات والمعاهد، والجانب الحر في الصحف والمؤلفات والمنشآت، تكونت في مصر نهضة أدبية محمودة آتت ثمارها قيمة نافعة، وكانت تأليفا وترجمة ونشرا وإنشاء، فنقلت العقل المصري من طور تقليدي عقيم إلى طور تحديدي مثمر منظم، واحتل الأدب بذلك منزلة مرموقة، ودخل في كيان الحضارة ينشرها ويبينها ويقومها، ويذيعها في مصر وبلاد العرب

والشام والعراق والهند والمغرب والسودان، ثم أخذ يصل بينها وبين الحضارات الأوربية، وينتهي به الأمر إلى أن يسلك مصر وأدبها في سلك الآداب العالمية المتحضرة.

وقد رأينا طائفة من آثار هذه النهضة ينقل إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والروسية والأردية وغيرها، كما انتهى الأمر بمصر وحكومتها الرشيدة إلى رصد جوائز أدبية قيمة لمن يؤلف كتابا ممتازا في الحياة الأدبية، وقد ظفر بهذه الجائزة كل من محمد حسين هيكل، وعباس العقاد، وأحمد أمين، وطه حسين، ومصطفى عبد الرازق، وتوفيق الحكيم، ولا تزال تنتظر غيرهم من المؤلفين.

- ١٥ -

وهنا نستطيع أن نوجز الأصول العامة للدراسات الأدبية في هذا العصر الحديث فيما يلي:

(١) العناية بنشر الكتب القديمة، سواء منها ما كان مخطوطا أو ذا طبعة رديئة، وسواء ما كان نصوصا أدبية خالصة أو ما كان علوما لغوية كالنحو والصرف والبلاغة والنقد الأدبي، إذ إن إحياء المصادر الأدبية هو الخطوة الأولى لصحة هذه الدراسة ونهضتها.

(٢) ترجمة كل ما يعد نافعا لتقويم هذه الدراسة، سواء أكانت ترجمة نصوص أدبية أم كانت نقل كتب منهجية، أم كانت دراسات أدبية لأدباء شرقيين وغربيين، فهذه الترجمة زاد مادي وتوجيه منهجي، ولدينا من ذلك قدر مفيد.

(٣) العناية في الدراسة بالكيف لا بالكم، فيجب أن تتناول المسألة في جميع مصادرها ومراجعها، وأن تعرض عرضا تاريخيا منسقا، وأن تخضع للرأي الحر المثقف، وأن يفتح فيها باب الاجتهاد لتستطيع النمو والإثمار، وأن تُتقى شر الفوضى الجاهلة الضالة الفاسدة، وأن تفهم الحرية الجامعية على أنها المسؤولية، لا الفوضى ولا الجري وراء الأوهام.

(٤) إخضاع الدرس الأدبي لمناهج البحث الحديثة المقررة، كدرس الأدب درسا فنيا نقديا، وتأريخه على أساس فني أو شخصي أو مكاني أو زماني، والانتهاء من ذلك كله إلى تأريخ الأدب تأريخا دقيقا شاملا عميقا، بعد دراسة مسائله بالتفصيل مسألة مسألة.

(٥) التخصص في مواد الدراسة أو في فروع المادة الواحدة على هذا النحو، فالأدب الخالص له درسه، وتاريخه، والنقد الأدبي له أستاذه، والنحو له أستاذه، والحياة العقلية لها أستاذ، والحياة السياسية كذلك، وفقه اللغة له كرسيه، وبعد ذلك تجد للأدب القديم كرسيا خاصا، وللأدب الوسيط كرسيه، وللأدب الحديث أيضا، ثم تجد لتاريخ النحو درسه، وللأدب الأندلسي درسه، وللأدب المصري درسه، وهكذا تتوزع هذه الدراسات بين الأساتذة، كل يتخصص في جانب منها، ومعه مساعدوه ومدرسوه ومعيدوه، والجميع متعاون على خدمة هذا الجانب من تاريخ الحضارة، وبذلك يتوافر العمق والشمول، ويصل الباحثون إلى الحقائق والمقررات.

(٦) ومن الجوانب الخطيرة الجديدة دراسة فقه اللغة على أساس الدراسات السامية والإسلامية، بحيث يمكن رد أصول الكلمات إلى مصادرها الأولى عربية أو عبرية أو سريانية أو حبشية أو فارسية أو غيرها، وبهذا تتبين المعاني اللغوية الدقيقة أولا، وتفهم التراكيب الأدبية ثانيا، ويمكن الاستفادة من ذلك في تنمية اللغة ثالثا.

(٧) الاهتمام الشديد بمقومات الأدب، واعتباره عنصرا من عناصر الحضارة يتفاعل مع سائرها مؤثرا ومتأثرا، فالسياسة والاجتماع والعلم والفن والأدب كل أولئك عناصر متضافرة مختلطة تعيش معا في الماضي والحاضر، فتجب دراستها على هذا الأصل دون اعتبار أحدها منفصلا عن الباقي.

(٨) تزويد الطلاب بمقدار كاف من الثقافات اللازمة لدرس الأدب، فالجغرافيا والتاريخ والفلسفة والفنون والديانات وعلوم اللغة العربية كلها لازمة لتمكين الطلاب من السيطرة على النصوص الأدبية وفهمها، ونقدها فهما أصيلا من كل جوانبها ودقائقها.

(٩) الإلمام الكافي باللغات الشرقية والغربية، وقد صارت هذه اللغات جزءا من مناهج الدراسة منذ أنشئت في كلية الآداب، ثم أنشئ معهد اللغات الشرقية للتوسع في الساميات والإسلاميات واللهجات، وتعلم اللغات باب ينفذ منه الطالب إلى حضارات شتى منها ما هو ذو صلة وثيقة بأدب اللغة العربية، ومنها ما هو مادة للأدب الجديد في إنشائه، وفي تناوله الأدب القديم درسا ونقدا.

(١٠) وأخيرا دراسة الأدب المقارن، وهو في الواقع تاريخ عام للآداب العالمية، وتبين ما بينها من تشابه وتخالف، وكشف العوامل العامة التي يخضع لها سير الآداب في هذه الحياة، والانتهاء من ذلك إلى وحدانية أدبية أو عقلية هي التي تنتظم الحياة البشرية جمعاء.

أما بعد فهذه هي المعالم العامة لدراسة أدب اللغة العربية في مصر المعاصرة، وهي معالم ذات أثر في بلاد الشرق العربي والغرب العربي، إذ كانت مصر الآن رائدة هذه النهضة الدراسية الحديثة وحاملة مشاعلها في جد وتوفيق.

وهذه المعالم إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن الدراسة الجامعية تنفي عنها زبد الجهالة الضالة والدعاوى الكاذبة والتدليس الفاسد، وتأخذ بحق الحرية وأصالة البحث وجد العمل، وها هي ذي تسير بحراسة ورعاية الفضلاء من العالمين العاملين

أحمد الشايب

يونيو ١٩٦٦

الفهرس

